مجلة المعجمية - تونس

ع 18-19

2003

حول تأثير بعض مظاهر الاستعمال في دلالة اللسنيّات العربيّة في القديم

عبد الرزّاق بن عمر

0. المقدّمة :

لا نعتقد أنّ مسألة تأثير الاستعمال في مفردات اللغة تثير الآن جدلا بين دارسي المعجم من العرب لأنّنا نجد في كتاباتهم المعجميّة ما به سُدَّ الشغور (انظر مثلا علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم) ولأنّ العرب أدركوا منذ القديم أنّ مدلول كلمة ما يتحقّق باستعمالها في اللغة استعمالا يفهم بالنظر إلى تلك الكلمة في سياقاتها اللغويّة والاجتماعيّة المختلفة . . . (انظر مثلا سيبويه والجرجاني والملاحظات اللاحقة الخاصّة بهما).

بيد أنّ ما ينقص على حدّ علمنا هو تطرّق الدراسات العربيّة إلى مظاهر / المسكوكة/ الاصطلاحيّة/ الاستعمال في علاقتها باللسنيّات (التعابير الخاصّة (Les expressions idiomatiques) في العربيّة قديما أو حديثا وذلك ما يدفعا إلى تناول هذا الموضوع المثير لعدّة أسئلة مدارها كيفيّة تحقق دلالة اللسنيّة في اللغة وتحديد علاقتها بالدلالة المعجميّة ومن ثمّة البحث في أثر الاستعمال في لسنيّات اللغة باعتبارها من العناصر المعجميّة إذا ما قبلنا جواز القول بتركّب هذه العناصر.

1. في الدلالة المعجميّة.

1-1. في المعنى المعجميّ.

قد تفهم الدلالة المعجميّة بمجالاتها المختلفة التي نجد منها ما تقدّمه المعاجم من شروح مختلفة لمعاني المفردات إذا أرجعنا المصطلح إلى ما يتصل بفنّ صناعة المعاجم (Lexicographie). وفي ذلك ظهرت عند العرب دراسات متعدّدة نظر فيها أصحابها إلى الدلالة المعجميّة عموما من زاويتين : زاوية

محاور هـذه الشروح في المعاجم واهتمّـوا كثيرا بالمنهج وطرق الشـرح بالمقابل والشاهـد والصورة وما إلى ذلك (مـحمّـد رشاد الحمزاوي، المعجم العـربي) وزاوية ما يدلّ عليه الـلفظ المشروح في المعاجم باعتبـاره عنصرا معجـميّا (انظر مثـلا علي القاسـمي، ص 87 وما بعـدها). ومن ثمّة اعـتنوا بمسائـل الترادف والتعدّد الدلاليّ وغير ذلك. . .

أمّا إذا فهـمنا من المصطلح نسبته إلى مـجال علم المعجم (Lexicologie) فإنّ مـدار المسألـة يكون بلا ريب المحتـوى الدلالي للعناصر المـعجمـيّة المؤلـفة لنظام الدلالة في لغة من اللغات الطبيعـيّة ولا يخرج موضوعنا عن حدود هذا المجال لعدّة أسباب نذكرها تباعا أثناء هذا البحث.

بيـد أنّ تقديم الموضـوع بهـذه الطريقـة لا يخلو من مـشاكل لأنّ أسـئلة كثيـرة قد تتبادر إلى الأذهان فمـنها ما يتعلّق بماهية العنـصر المعجميّ وطبيـعته ومنها مـا يدور حول الدلالة المعجميّة في حدّ ذاتها لأنّهـا تتّصل بالمعنى وهو مثير لجدل ونقاش، فهل المقـصود من هذا المعنى أصل ما تفيده المفردات وهي منعزلة عن السّيـاق أم هو معنى يلتمس من العلاقات التي يدخل فيـها العنصر المعجميّ وهي عـلاقات كثيرة تركيـبيّة ونحويّة وصرفيّـة تؤثر بطريقة أو بأخرى في المحتوى الدلالي للعنصر المعجميّ المستعمل في السياقات المختلفة ؟

لقـد اتجـهت الدراسـات في المسـألة حـسب علمنا اتجّـاهين : دراسـات اهتمّت بالمعنى من ناحـية مايفيده العنصـر المعجميّ في حدّ ذاته أو مـا عبّر عنه ابن جنّي في الخـصـائص (ج2ص350) بالمعنى على أصـل وضعـه ودراسـات بحثت في المعنى من جهة العلاقات المحدّدة لدلالة العنصر المعجميّ أو العناصر المعجـميّة. وكانت لبـحوث العرب في هذين المجـالين قديما وحديثـا مـحاور عديدة دلّت على وعي مهمّ بالمعنى المعـجميّ للكلمة إذ بحثوا فـيها اتّجاهَ ذلك المعنى وتطوّره (العامّ / الخاص/ العامّ المخصـوص . . .) وقسّموا دلالة الألفاظ تقسيـما دلاليا معـجميّا (انظر في ذلك كـتب فقه اللّغة كـالمزهر في علوم اللغة للسـيـوطي، ج 1 ص 308 ومـا بعـدها) ودرسـوا المعـاني حـسب العـلاقـات السياقـيّة المختلفة (حـقيقة/ مجـاز . . .) (انظر عبد القاهر الجـرجاني في أسرار البلاغـة مثلا) ورغم ذلك تـبقى دراساتهم تلك قـابلة لمزيد البحث في مـسائل عدّة منها طبيعة العنصر المعجميّ وأهميّة الاستعمال وعلاقته بالدلالة المعجميّة وما إلى ذلك.

1 - 2. في العنصر المعجمي :

يفيد مصطلح المعجم إذا استثنينا منه مدلوله على الكتاب أو القاموس في اللّغة العربيّة، مجموعة من الوحدات اللّغويّة العرفيّة المتغيّرة التي تكمن في أذهان الأفراد من المجموعة اللّغوية الواحدة على صورة تقريبيّة متكاملة (محمد صلاح الدين الشريف، مجلّة المعجميّة، العدد 2، ص 17)، هذه الوحدات التي سمّاها البعض معجمات (ينظر الحمزاوي، المعجم العربي، ص 177) تختلف حسب الدراسات اللّغويّة المتعدّدة عن مصطلحات أخرى منها الكلمة (Le mot) والجذر (La racine) والأسّ (Le radical) والجذع (La base). إلاّ أنّ البحوث العربيّة الآن، ولئن نَحَتْ بالدلالة المعجميّة منحيين أحدهما مركزه المعنى الموضوع للفظ في أصل وضعه وثانيهما مداره مختلف العلاقات المحدّدة لدلالة العنصر المعجميّ كما أشرنا وهما اتّجاهان مهمّان في تحديد طبيعة العناصر المعجميّة، مازالت تفتقر عندنا إلى ما يكفي في الكشف الدقيق عن خصوصيّة هذه العناصر رغم أنّ بعض الدراسات تناولت تلك الوحدات المكوّنة لمعجم اللّغة من زوايا مختلفة لاسيّما احتمال تركّبها وقد أكّدنا في بحثنا «اللسنيّات (التعابير الخاصّة) في العربيّة القديمة» أنّ العنصر المعجميّ يكون بسيطا أو مركّبا وفصّلنا القول في تركّب اللسنيّة التي تعدّ من العناصر المعجميّة لأسباب كثيرة نذكر منها :

أ - **الدلالة** : من الخصوصيات الدلاليّة للسنيّة أنّنا لا نستطيع أن نتحصّل على معناها بالجمع الرياضيّ لمدلول مكوّناتها :

(428)[1] رَجَع فلان على حافِرَته : شاخ وهرم ولا يمكن أن نلتمس معنى الهرم من جمعنا لدلالتي رجع مع الحافرة لأنّ قيمة المعنى داخل اللسنيّة تعادل محتوى علامة لغويّة واحدة هي غير المكوّنات وكذا الشأن بالنسبة إلى بقيّة لسنيّات اللّغة : (580) خَيَّط رأسُه : شاب (947) انْقَطَع بهم السببُ : تجافوا (1202) طحنتهم المَنُونُ : هلكوا...

ب - **التركّب** : تتميّز اللسنيّة خلافا للعناصر المعجميّة البسيطة بتركّبها الذي يحدث عادة بامتزاج مكوّنين أو أكثر في وحدة جديدة تترسّخ في المعجم بالتواتر (ع. بن عمر، اللسنيات، ص 200 وما بعدها) إلى درجة أنّها تضمحلّ وتخرج عن نظام اللّغة إن فصلنا أيّ مكوّن من مكوّناتها عن الآخر :

---

(1) نصدّر اللسنيّات بأرقام (428) تحيل على نهاية المقال وهي ذاتها الأرقام التي نجدها في مدوّنة بحثنا «اللسنيّات (التعابير الخاصّة) في العربية القديمة».

(1005) شَدَّ على ساعده : أعانه، تولّدت اللسنيّة باقتران الفعل شد مع الحرف على والمركّب الاسميّ ساعده للتعبير عن الإعانة بحيث أنّنا لو عزلناه عن المركّب الحرفي لخرجنا إلى عنصر معجميّ جديد يعبّر عن حدث الشدّ الذي لا نجد فيه شيئا من معنى الإعانة الذي دلّت عليه اللسنيّة اصطلاحا وهكذا يكون الأمر مع بقيّة المكوّنات. فالتركّب في الظّاهر اقتران عنصر بثان أو أكثر ولكنّه دلاليّ إذ لا وجود لأيّ مكوّن مستقلّ عن الآخر بل إنّ مكوّنات اللسنيّة من المفردات هي عبارة عن الأصوات التي تكوّن الكلمة.

ج - **اتّفاق اللسنيّة مع الكلمة** : إذا تجاوزنا ماتثيره الكلمة من إشكال لأنّها لا تمثّل في كامل أحوالها عنصرا معجميّا (انظر في الكلمة، الطيّب البكوش وصالح الماجري، ص 17 وما بعدها) وقد تختلف مع اللسنيّة في ملامح كثيرة (انظر مثلا ع. بن عمر، اللسنيّات، ص 33 وص 40) فإنّنا نستطيع إثبات اتّفاقهما في جملة من الخصوصيات الدلاليّة مثل قبول الترادف والتعدّد الدلاليّ. . . ، فمن اللسنيّات المتعدّدة الدلالة قول العرب: (977) انْتَفَخ سَحره : ملّ أو حبُن أو تعدّى طوره (1015) سَقَط في يده : ندم أو زلّ وأخطأ (1020) انسلَخ جِلْدُه : قلّ حياؤه أو فزع (1075) يَقُتَاتُ السَّوْفَ : يعيش بالأماني أو هو صابر . . . ومن اللسنيّات المترادفة في وصف البخيل مثلا قولهم : (132) ما يَبِضُّ حَجَرُه : بخيل (320) جعْد البنان (331) جامد الكفّ (348) أجاع قدره : بخل. . . وفي التعبير عن السّمن : (641) دُمّ فلان بالشّحم : كانَ سمينا (737) رَجَع العلفُ في الدابّة ونَجَع : سمنت (827) أخذَتْ إبلي رماحَها وكذلك سلاحها : سمنت (1085) امرأة شَبْعَى الوشاح : سمينة ممتلئة. ولا ريب في أنّ تعدّد الدلالة والاشتراك والترادف وما إلى ذلك من المسائل التي تحتاج تدقيقا وتوضيحا ودراسة لأنّ الترادف المطلق مثلا لا يوجد في الأمثلة المذكورة سابقا، إلاّ أنّ عملا من هذا النوع يتجاوز غايتنا الآن.

د - **قبول الخاصيّة التصنيفيّة** : تقبل اللسنيّات الخاصيّة التصنيفيّة إسوة بالكلمات وهذه الخاصيّة تمكّننا من تصنيفها وتوزيعها طبقيّا في مجموعات (ع. بن عمر، اللسنيّات، ص 231 ومابعدها) :

* **دلاليّا** حسب أصول معانيها أو حسب معانيها الاصطلاحيّة (ع. بن عمر، اللسنيّات، ص 334 ومابعدها) في حقول دلاليّة تنضوي في حقول أكبر منها :

- (59) مَالهُ حَـانَةٌ ولا آنَةٌ أي ما له شيء، من الحـانَة : الناقة والآنَة : الشَاة، (385) في مثل حَدَقَة البَعير أي في خصب وماء كثير، من حدقة البعير وهي توصف بكثـرة الماء، (689) رَكِب ذَنَب البعيـر : رضي بحظ مبخـوس ناقص، من البعير وذنبه لا يركب على وجه الحقيقة... فالإبل كما لا يخفى مثّلت مصدرا (Source) لهذه المجموعة من اللسنيّات وغيرها وهي بذلك تعدّ قاسما مشتركا بينها يكوّن حقلا يقبل الانضواء في حقل أكبر منه هو الحيوانات الأليفة المنتمية إلى حقل الحيوان وهلمّ جرًا.

- (122) جاء بالتُرّهات البَسَابس : كذب، (203) يَنْفُخ في البُوق : يكذب وينطق بما لا طائلة تحته، (423) جاء بالحَظِر الرَطْب : كذب، (1480) جاء بالعَناق وكذلك بأذُنَيْ عَناق : بالكذب الفاحش أو بالخيبة والشرّ وهذه اللسنيّات كما نلاحظ يجمعها حقل دلاليّ واحد هو حقل الكذب المنتمي إلى حقل الأخلاق الذي ينضوي في حقل القيم الاجتماعيّة...

* **تركيبيًا** حسب أشكال المركّبات النحويّة التي تتوارد فيها اللسنيّات (ع.بن عمر، اللسنيّات، ص 239 وما بعدها) :

- اللسنيّات الفعليّة وهي التي يكون رأسها فعلا ومن أمثلتها : (792) رَعَى النجومَ: أرق وسهر، (794) رَغم أنفُه : ذلّ وخضع، (800) هُريق رَفَدُه : قُتل، (802) رَفَلَ في ثيابه : تكبّر وتبختر...

- اللسنيّات الاسميّة وهي التي تتوارد في شكل من أشكال المركّبات الاسميّة : (406) حُشاشَةُ نَازِعٍ : الوقت القليل، (712) هو منّي حَضر الفرس : قريب، (416) حاطب لَيل : يخلّط في كلامه وأمره أو يجني على نفسه، (492) حيّة ذَكَرٌ : شَهْمَ أو شجاع شديد...

- اللسنيّات الحرفيّة وهي تلك التي تبدأ بحرف مثل قول العرب : (341) في جناح طائر : قلق دهش، (450) كالحَلْقَة المُفْرَغَة : مجتمعون مؤتلفون، (480) بحَوْض الثعلب : بعيد، (774) لرشدة : صحيح النسب..

هـ - علاقة اللسنيّات بالملكة اللّغوية (la compétence) والإنجاز (la performance) :

* في اللسنيّات شأنها شأن بقيّة العناصر المعجميّة جانب من الملكة اللغويّة التي يمكن أن ندركها من خلال بعض الملاحظات :

- تشترك اللّغات الطبيعيّة والعربيّة تمثّلها بهذا البحث في ظاهرة التكلّس المعجميّ ويتوفّر في كلّ لغة منها رصيد من اللسنيّات (انظر أعمال ندوة

التكلس المعجمي، تونس، سبتمبر 1998) وفي هذا الاشتراك كما لا يخفى مظهر من مظاهر الملكة.

- اللسنيّة على درجة ما من التجريد الذي يتصل بالوظيفة الرمزيّة للغة لأنّها من وحدات المعجم وهي بذلك معدّة لتحقيق أهمّ وظائف اللغة التي منها الإبلاغ والوظيفة التعبيريّة...

- تقبل اللسنيّة كما رأينا في الفقرات السابقة الخاصّية التصنيفيّة التي تعتبر في حدّ ذاتها خاصيّة نوعية للكلام البشري...

* في اللسنيّات مظهر من الإنجاز اللّغوي بما أنّها تمثّل مجموعة متواترة من العناصر المعجميّة وتقبل الوصف الكميّ والتطوّر بالاستعمال وما إلى ذلك، ولا ريب في أنّ العرب تفطّنوا منذ القديم إلى تأثير هذه المظاهر في العناصر المعجميّة ودلالاتها إذ ربط القدامى علاقة بين الاستعمال والعديد من المفاهيم وعمدوا بالتواتر إلى تخصيص كثير من المصطلحات وتحديدها فاعتبروا أنّ مثل قول العرب (102) فلان مَا يَعْرف هرًّا منْ برٍّ أي لا يعرف شيئا أو لا يميّز بين من يكرهه ومن يبرّه، من كلام العرب السائر (لسان ج 1، ص191) [وكذا الشأن بالنسبة إلى الأمثال التي عدّت سائرة (الميداني، ج 1، المقدّمة)] وأدركوا أنّ للتواتر شأنا في استعمال العبارات، وقد ورد عن سيبويه أنّ الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحوٌ ليس لغيره ممّا هو مثله (سيبويه، ج 2 ص 126) فلا ينفرد عنده من الأشياء شيء دون ما بعده إذ لا يجوز أن تقول في كَلَّمْتُه فَاهُ إلى فِيَّ كلمته فاه حتّى تقول فيّ لأنّك تريد مشافهة (سيبويه، ج 1 ص 392) ومثل ذلك قول الجرجاني في تحليل قول العرب عند وصف المتردّد: رَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلا وتُؤَخِّر أخْرى : «فلو جهد مستعمل اللّغة أن يتصوّر لقوله تقدّم رجلا معنى وفائدة ما لم يقل وتؤخّر أخرى أو ينوّه في قلبه كلّف نفسه شططا» (أسرار، ص 115) فالاستعمال عندهم يحدّد معنى اللفظ كما نرى ويكسب العبارة خصوصيتها الدلاليّة وهو ما يؤكّده تحليل أمثلة من اللسنيّات إلى مكوّناتها :

(1520) هذه أرْضٌ لا يَطيرُ غُرَابُها : كثيرة الثمار لأنّ المعروف عن الغراب أنّه يتبع أجود الثمار وأنّه ما إن يحطّ بمكان حتّى يطير عنه وبذلك يكون استقراره دليلا على كثرة الثمار، واللسنيّة تواردت داخل الجملة الاسميّة في محلّ خبر شكله النحويّ مركّب نعتيّ هو أرض لا يطير غرابها إلا أنّ تحليله إلى منعوت ونعت يثير مشاكل إذ أنّنا في الإخبار نستطيع الاستغناء عن

النعت (لا يطير غرابها) بينما نهتمّ معنى اللسنيّة التي بلغت درجة كبيرة من التكلّس فنبتعد عن قصد المتكلّم وصفَ الأرض بكثرة الثمار إن فصلنا بين المكوّنين المنعوت والنعت أو عزلنا الفاعل عن فعله في مستوى النعت الوارد مركّبا إسناديّا فعليّا (انظر أمثلة أخرى لتحليل اللسنيات في ع. بن عمر، اللسنيّات، ص 208 و ما بعدها) ورغم هذا تقبل اللسنيّات، خلافا لما لا تستسيغه الأمثال من تغيير في الصيغة والإعراب كما هو مأثور عنها (انظر مثلا المزهر للسيوطي، ج 1 ص 487...)، التواردَ في الاستعمال بطرق متعدّدة:

- (417) حطّ رَحْلُه : أقام / + ألقى رحله + ألقت رحلها + حطّوا رحالهم.

- (336) جَمَّمَت الجاريةُ ولَمَّمَت : اكتملت / + صارت لها جمّة ولمّة + جارية مجمّمة وملمّمة...

- (301) جَرُّوا أذْيالهَم : تكبّروا واختالو/ +جرّ ذيله + جرّ أذياله + جرّ ذيوله ومن ذلك قالوا : ذالت الجارية وتذيّلت : تبخترت.

- (203) فلان يَنْفُخُ في البُوق : يكذب ويتكلّم بما لا طائلة تحته/ + جاء بالبوق + نطق بوقا + تبوّق + البوق : الباطل + باق يبوق : جاء بالبوق ← هو بوق : لايكتم السرّ...

وهكذا يمكن أن نخلص ممّا سلف إلى أنّ اللسنيّة من العناصر المعجميّة وأنّ دلالتها من الدلالة المعجميّة التي ترتبط في جوانب منها بالاستعمال.

ومن هذا المنطلق يكون القسم الثاني من البحث مخصّصا لاختبار مدى تأثير الاستعمال في دلالة اللسنيّات العربيّة في القديم، بيد أنّ سعة الموضوع تجعلنا نقتصر في توضيحه على بعض مظاهر الاستعمال بالاعتماد على عيّنات مختارة من العبارات المتداولة في القرن السابع الميلادي (الأوّل الهجري) لما لحدث ظهور الإسلام من أثر في تعديل النشاط اللغوي عند العرب ولأنّ العربيّة المسموعة في العصر الجاهلي لم تصلنا إلا من خلال القرآن أو ممّا توّج حركة جمع اللّغة من مصنّفات في النحو والمعاجميّة وفقه اللّغة وهذه الكتب ضبطت مدوّنتها لأغراض مختلفة أهمّها حماية لغة القرآن من التحريف واللحن.

2. استعمال اللسنيّات العربيّة في القديم :

يرتبط المستعمل من اللسنيّات العربيّة بمُحيطه الحضاري وزمن نشأته

وأسبابها المختلفة ومدى تفاعل المتكلمين باللسنيّة مع الواقع للتعبير عن حاجاتهم اليوميّة أو بلوغ مقاصدهم ومآربهم، لذلك يشمل البحث في استعمال العبارة ضربا من التنقيب في نشأتها وروافدها وتوارها في السياقات المختلفة وما يؤدّي إليه كلّ ذلك من مظاهر التطوّر والتغيّر... ولتوضيح هذا نقتصر في ما يأتي لضيق المجال، على عيّنات من مظاهر الاستعمال انطلاقا من بعض الملاحظات الخاصّة بنشأة اللسنيّات وتواردها وتطوّرها.

2-1. نشأة اللسنيّات في القرن السابع :

لا نجد صراحة عند ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي مقاطعة واضحة للتراث اللّغوي المنسوب إلى الجاهليّة. وقد ظلّت طائفة كبيرة من اللسنيّات متداولة بين الناس متواترة في الاستعمال، بل إنّ أغلب العبارات حافظت على خصوصيّاتها الدلاليّة ومعانيها المختلفة إلاّ من بعض التحوّلات الجديرة بالاهتمام.

لقد كان تواتر مجموعة من القصص في القرآن لوعظ المسلمين باتّخاذ العبرة من شقاء الأمم البائدة دافعا حمل الكثير من الناس على صياغة عبارات تحيل على مرجع من العصر الجاهلي، فقولهم لمن كان في شقاء وضلال كبير: (458) «أشقى من أحمر ثمود» يلتقي بقولهم لما كان مشؤوما أو شديدا : (790) «كَرَاغِيَةِ البَكْرِ» لأنّ العبارتين تحيلان على نفس القصّة إذ أنّ أحمر ثمود هو لقب قدار بن سلف عاقر ناقة صالح (لسان م 1 ص 717) بينما راغية البكر هي ناقة صالح التي هلكت بسببها ثمود وقد ورد ذكرها في شعر الأخطل :

لعمري لقد لاقت سليم وعامر ∴ على جانب الثرثار راغية البكر

(أساس البلاغة ص 240) في حين وردت إشارات للقصّة في القرآن بمواطن متعدّدة : الأعراف: 7/ 73-77، هود : 11/ 64، الإسراء : 17/ 59، الشعراء : 26/ 155، القمر : 54/ 27، الشمس : 91/ 13.

إنّ نواة القصّة المتواترة في القرآن قد تكون هي السبب في ابتداء ظهور اللسنيّتين وغيرهما لما في القرآن من قداسة ولما في القصّة من تشويق وتأثير. وشأن هذا النوع من العبارات شأن طائفة أخرى ظهرت في نفس الفترة تقريبا وقد غذّت روحها المصادر الكتابيّة : يقال لمن كان كثير الجور شديد الظلم : (887) أجْوَرُ مِنْ قَاضِي سَدُوم، وقد خصّصوا بذلك قصّة إسرائيل عن سدوم،

(تكوين 19 : 4) وكانت مضرب الأمثال عند العبرانيين والمسيحيين في الجور وارتكاب الفاحشة : أشعيا 1 : 10-3 : 9، أرميا 23 : 14 تثنية 32 : 32، على حدّ قول عبد المجيد عابدين في كتابه الأمثال في النثر العربيّ القديم (ص 90).

ولئن كانت هذه العيّنات قد استقت روافدها من العصور القديمة السابقة لها فإنّ بعض اللسنيّات الجديدة قد استوحت معانيها من تعاليم الدين الجديد ومبادئه بل إنّ دلالة العبارات حملت قيما إسلاميّة جديدة ومُثُلا عُليا بدأت تأخذ طريقها إلى الترسّخ في أذهان مستعملي اللّغة وسلوكهم :

(111) بَارَكَ اللّه فيه وله وعليه وبَارَكَهُ أي أثابه اللّه وجعله مباركا. والعبارة من برك البعير : أناخ في الموضع ولزمه، أو من البركة : الزيادة وقد تواترت في القرآن الكريم 6 مرّات (معجم عبد الباقي، ص 118) منها قوله تعالى : وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا (فصّلت : 41/ 10).

(219) بَلَغَتْ رُوحُهُ التَرَاقِيَ أي شارف الموت، من ترقيته : أصبت ترقوّته والعبارة تواردت في القرآن في قوله تعالى : كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَرَاقِيَ (القيامة : 75/ 26) وهي ترادف قوله تعالى : وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ (الأحزاب : 33/ 10) وقوله : فَلَوْ لاَ إِذَا بَلَغَتِ الحُلقومَ (الواقعة : 56/ 83).

(481) سقاك اللّه بحَوْض الرسول ومِنْ حَوْضه : دعاء لك بالنجاة في الآخرة والفلاح وحوض الرسول يرده أتباعه يوم القيامة بعد خروجهم من القبور عطاشا فيشربون منه شربة لا ظمأ بعدها (ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة، ص 19).

(704) رُدَّ إلى أرذل العمر، أي إلى الهرم والخرف، من قولهم : أرذل فلان دراهمي أي فسلها، وردت العبارة في الحديث : أعوذ بك من أن أردّ إلى أرذل العمر (لسان م 2 ص 1158) وكذلك في قوله تعالى : وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْم شَيْئًا (النحل : 1/ 70، الحجّ : 22/ 5).

(826) أوَى إلى رُكْن شَديد أي كان عزيزا منيعا في عدد كثير من قومه يستند إليهم كما يستند إلى الركن من الحائط، وردت العبارة في قوله تعالى : أَوْ آوِي إِلَى رُكْن شَديد (هود : 11/ 80) وفي الحديث : رحم اللّه لوطا إذ كان ليأوي إلى ركن شديد، وأراد بذلك إلى اللّه عزّ وجلّ وهو أشدّ الأركان

وأقواها (لسان ج 2، ص 1211).

(1083) وقع في أيدي الزبانية أي في العذاب الشديد أو في مأزق لا يستطيع الخروج منه، أصل العبارة من قولهم : زبَنَت الناقة أي ضربتْ بثفنات رجليها عند الحلب ثمّ أخذوا من ذلك الزبانية لزبنهم الناس ودفعهم أهل النار إليها (لسان ج 3، ص 0) وقد ورد ذكر الزبانية في القرآن مرة واحدة في قوله : فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (العلق : 18/96)

(1084) سبع سنابل وعشر في الضعف بالأجر والأجر من قوله تعالى : كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ (البقرة : 2/ 261) وكذلك من قوله : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا (الأنعام : 6/ 160) رغم أنّ العرب تضع السبعة موضع التضعيف والتكبير . . .

ويبدو من العيّنات السابقة أنّ القرآن كان مصدراً لشتّى اللسنيّات وأنّ الحدث الدينيّ في القرن السابع الميلاديّ هو الذي حرّكَ بدون منازع الملكة اللّغويّة عند العرب والمسلمين فصاغوا نسبة عالية من العبارات المختلفة في معان إسلاميّة شتى رغم أنّ طاقة الإبداع لم تتوقف عن إنتاج لسنيّات ذات دلالات أو صور كانت في الأصل متواترة في الفترة الجاهليّة :

(309) مَاتَ حَتْفَ أَنْفِه أي فجأة أو عن مرض بلا قتل أو ضرب، من الحتف : الموت وكأنّما قصدوا أنّه يموت على فراشه كما لو كان سقط لأنفه فمات أو كأنّ أصل العبارة من اعتقاد العرب أنّ روح المريض تخرج من أنفه فإنّ جُرح خرجت من مكان الجرح واللسنيّة إسلاميّة المنشإ لأنّها رويت عن الرسول صلى اللّه عليه وسلّم (السيوطي، ج 1 ص 301) رغم أنّ معنى الموت متواتر في الجاهليّة (انظر ع. بن عمر، اللسنيّات، ص 375). بل إنّ في رافد العبارة شيئا من تصوّرات العرب في فترة ما قبل الإسلام.

(1381) رَكِبَ أَعْجَازَ الإبل : ذلّ أو كان تابعا لغيره أو لقي المشاقّ لأنّ عجز البعير مركب شاقّ والعبارة من قولهم تعجّزت البعير إذا ركبت عجزه ولا أثر فيها لأيّ رافد أو معنى إسلاميّين رغم أنّها نسبت إلى عليّ بن أبي طالب (لسان ج 4، ص 642) وقد عرف أنه أدرك الإسلام صبيًا.

(2208) حَمِيَ الوَطِيسُ أي اشتدّت الحرب أو الأمر، من الوطس : الوطء من الخيل والإبل أو من الوطيس : شيء يتخذ مثل التنّور يختبز فيه ويشوى والعبارات أثرت عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم في غزوة حنين (لسان م ن ص 4647 وكذلك سيوطي ج 1 ص 200) رغم أنّ روحها جاهليّة

لأنّها تختزن معلومات عن الحياة اليوميّة العربيّة القديمة التي تواصلت من الجاهليّة إلى ما بعد صدر الإسلام.

لقد كان لنا في الأمثلة السابقة ما يدلّ على أنّ اللسانيّات العربية في القديم كانت مختلفة الروافد بما تحمله من معلومات دلاليّة مرجعيّة تعود إلى فترات متلاحقة من الجاهليّة أو صدر الإسلام لأنّ بعضها نبع من مصادر كتابيّة أو من القرآن الكريم أو أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلّم والصحابة رضي الله عنهم، ذلك أنّ تأثير الحدث الدينيّ في دلالة العبارات كان عميقا لكنّه لم يثن العرب ومستعملي اللّغة عن صياغة صور ومعان قديمة متواترة في لسنيّات يتحتّم علينا مزيد النظر في خصائص استعمالها وطبيعة تطوّرها.

2 - 2. توارد اللسانيات العربيّة في القديم

حافظت أغلب اللسنيّات التي ظهرت في الجاهليّة على شيوعها وتواترها في القرن السابع رغم أنّ الظرف الجديد أدّى إلى ظهور طائفة من العبارات قامت على نقيض سابقاتها التي بدأت تخرج من الاستعمال فمن «لسنيّات المناسبات» التي تأثرت بالواقع الجديد وبعض المفاهيم الإسلاميّة قولهم :

(803) بالرّفاء والبَنين أي بالالتئام والاتفاق وحسن الاجتماع، تقال العبارة في الجاهليّة للمملك لكنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم بدّلها بقول آخر هو : بارك الله عليك وبارك فيك وجمع بينكما في خير (أساس ص 244 وكذلك لسان ج 2، ص 1194 و1203).

(1355) أنْت عَليّ كَظَهْرِ أمّي وكظهر أيّ محرمة، عبارة في الطلاق منهيّ عنها في القرآن (المجادلة : 58/ 2) رغم أنّها بقيت موجبة في الإسلام شأنها شأن قولهم : (840) حبْلُك على غَاربك... إلاّ أنّ الكلمات التي أصبحت متواترة منذ القرن الأوّل للهجرة هي : أنت طالق وأنت خَلِيّة وأنت بَرِيّةٌ وأنت حَرَامٌ... (ابن أبي زيد، الرسالة، ص 408).

وشأن هذه اللسنيّات شأن بعض العبارات الخاصّة بفئات اجتماعيّة ضيّقة عاشت في صلب المجتمع الإسلاميّ الجديد :

(791) رَاعِنَا : عبارة من أقوال اليهود في الجاهليّة وقد كانوا يتسابّون بها فنهى الله تعالَى عن قولها في القرآن : يَا أيُّها الذين آمنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وقُولُوا انْظُرْنَا (البقرة : 2/ 104).

لقد كان لتأثير العوامل الدينيّة في الحياة الاجتماعيّة أهميّة بالغة في تعديل نسق استعمال بعض اللسنيّات وتقلّص تواترها فأخذت نسبة منها الطريق نحو التقادم كما ذكرنا ولكنّ جانب التصرّف بالاستعمال في دلالة طائفة من العبارات المتواترة وفي أشكالها المختلفة يبقى في حاجة إلى التوضيح؛ ولا مناص لنا من الاعتماد في ذلك على عيّنات من القرآن أهمّ نصّ متكامل في القرن السابع : وردت في القرآن لسنيّات كثيرة نذكر منها بعض ما كان شديد التواتر وقد اعتمدنا في الإحصاء المعجم المفهرس لعبد الباقي : (457) الحَمْدُ للّه : 35 تواترا (ت)، (2213) تُوُفِّيَ : 23 ت، (600) ولّى دُبُرَهُ 13 ت، (1281) طبعَ عَلى قلْبه : 11 ت، (2108) نكَصَ عَلى عَقبَيْه : 9 ت، (599) قطَعَ دَابِرَهُ : + ت... وقد تواردت هذه اللسنيّات في شكل مركبات متعددة منها المركّبات الفعليّة : (599) قطَعَ دَابِرَهُ؛ والاسميّة : (1367) عابِرُ سَبيلٍ؛ والحرفيّة : (1131) بشقّ الأنْفُسِ... وتتّسم هذه اللسنيّات ولا سيما الفعليّة منها بقبول مكوّناتها التصرّف بالاستعمال عن طريق الاشتقاق :

(600) ولّى مُدْبِراً (النمل : 27/ 10، القصص : 28/ 31) + ولّوْا مُدْبِرينَ (النمل : 27/ 80) + ولّوْا الأدْبَارَ (الفتح : 48/ 22) + تَولّوْا مُدْبِرينَ (الأنبياء : 21/ 57) + لاَ تُوَلّوهُمُ الأدْبَارَ (الأنفال : 8/ 15) + يُوَلّونَ الدُّبُرَ (القمر : 54/ 45)...

(2108) لَمْ يُعَقِّبْ (النمل : 27/ 10، القصص : 28-31) + يَنْقَلِبُ عَلى عَقبَيْه (البقرة : 2/ 143) + نكَصَ عَلَى عَقبَيْه (الأنفال : 8/ 48) + انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعقَابِكُمْ (آل عمران : 3/ 144) + كُنْتُمْ عَلى أعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (المؤمنون : 23/ 66)...

بيد أنّ أغلب هذه اللسنيّات تقبل التحوّل بالاستعمال عن طريق آليات اللّغة من الأشكال الاسميّة إلى الفعليّة أو العكس :

(945) أزاغَ اللّهُ قَلْبَهُ : تواردت اللسنيّة في شكل مركّب فعليّ في قوله تعالى : فلمّا زَاغُوا أزَاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ (الصفّ : 61/ 5) ثمّ في شكل مركّب اسمي في الآية : فَأمّا الذين في قلُوبِهِمْ زَيْغٌ (آل عمران : 3/ 7)...

(1276) ضَاقَ صَدْرُهُ : تواردت اللسنيّة في شكل مركّب فعليّ في قوله تعالى : ولَقَدْ نَعْلَمُ أنّكَ يَضيقُ صَدْرُكَ بمَا يَقُولُون (الحجر : 15/ 97) + ويَضيقُ صَدْري ولا ينْطلقُ لساني (الشعراء : 26/ 13)، إلاّ أنّها اقتربت من

المركّب الاسمي عن طريق الاشتقاق في قوله تعالى : يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرِجًا (الأنعام : 6/ 125) + فلعلّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ (هود : 11/ 12) . . .

ولا تقتصر مجالات التصرّف في اللسنيّات التي تضمّنها القرآن الكريم على ما أشرنا إليه في الملاحظات السابقة لأنّ إمكانية الاستعمال في الواقع متسعة قد تتجاوز التصرّف بالاشتقاق أو تغيير مواقع المكوّنات إلى التركيب :

(745) مَرْحَبًا بِكَ : لسنيّة من صنف عبارات المناسبات غالبا ما تستعمل للترحيب بالقادم في صيغة إثبات ولكنّها تواردت في القرآن مرّتين بصيغة النفي : هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (ص : 38/ 59) + قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ . . . (ص! : 38/ 60).

2 - 3. تطوّر اللسنيّات العربيّة في القديم

بدا لنا من خلال استقرائنا لبعض العيّنات من القرآن الكريم أنّ التصرّف بالاستعمال في مستوى الخطّين الجريدي (Paradigmatique) والمركّبي (Syntagmatique) قد يساهم في اتّجاه مكوّنات نسبة اللسنيّات الشّديدة التواتر نحو تكلّس أشدّ ممّا هي عليه أو يؤثّر في الطبيعة التركّبيّة لنسبة أخرى من العبارات فتتّجه نحو ضرب من الاختصار :

(000) وَلّى مُدْبِرًا أي فرّ أو انهزم، توارد مكوّن اللسنيّة الأوّل (ولّى وما اشتقّ منه) منفصلاً عن المكوّن الثاني (مدبرا وما اشتقّ منه) في القرآن 6 مرّات منها قوله تعالى : لوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا (الكهف : 18/ 18) باستعمال معنى اللسنيّة الفرار في موقع حالَ متعلّق بنواة الإسناد كما ورد نفس المكوّن بموضع آخر من القرآن : تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (المعارج : 70/ 17) في حيّز المعطوف عليه من المركّب العطفي (أدبر وتولّى) وقد قامت العلاقة بين مكوّني المركّب على الترادف إلاّ أنّ تواتر اللسنيّة ولّى مدبرا بلغ 12 ت وقد اقترن فيها المكوّن الأوّل بالثاني اقترانا شديدا إذ أنّ درجة التجاذب بين المكوّنات في المركّب الفعلي : ولّى مدبرا + ولّى الدبر . . . أشدّ تماسكا ممّا نجده داخل المركّب العطفي. ويبدو أنّ اللسنيّة مرّت على الأقلّ بثلاث مراحل :

أ - مرحلة التولّد وهي مرحلة النشأة وفيها يتجاذب عنصران معجميّان بسيطان أو أكثر عند الاستعمال وتستفيد اللّغة في ذلك من المجاز لتقريب المتباعدين دلاليا [(ولّى ↔ (الدّبر)].

ب - مرحلة التكلّس وهي مرحلة تستعمل فيها اللسنيّة بمعناها

الاصطلاحي بعد ما تكون قد ترسّخت بالتواتر في معجم اللّغة بتلك الدلالة : (الفرار أو الانهزام).

ج - مرحلة التطوّر وهذه المرحلة لا تبلغها كلّ اللسنيّات لأنّها لا تكون إلاّ مع نسبة قليلة لها طاقة إنتاجيّة متميّزة: ولّى الدّبر← لولّيت منهم فرارا..

(2108) نكَصَ عَلى عَقِبَيْه أي أحجم ورجع عمّا كان عليه من الخير، تواردت اللسنيّة 7 مرّات في القرآن الكريم بالتصرّف جريديًا في المكوّن الأول والاحتفاظ بنواة ثابتة هي المركّب الحرفي على عقبيه :

- (نكَصَ) + عَلى عَقِبَيْه، 2 ت (الأنفال : 8/ 48 + المؤمنون : 23/ 66).

- (انْقَلَبَ) + عَلى عَقِبَيْهِ، 2ت (آل عمران: 3/ 149 + الأنعام : 6/ 71).

غير أنّنا سجّلنا تَواردين آخرين بتصرّف ثان في المركّب الحرفيّ عن طريق الاشتقاق: وَلّى مُدْبِرًا ولمْ يُعَقِّبْ (النمل : 27/ 10 + القصص : 28/ 31)، والمرجّح في مثل هذه الحالة أنّ اللسنيّة اتّجهت بالاستعمال في فترة ما بعد ترسّخها في المعجم إلى الاستغناء عن مكوّنها الأول والاحتفاظ بالمكوّن الثاني الذي وقع التصرّف فيه من جديد عن طريق الاشتقاق فاتّجهت اللسنيّة إلى ضرب من الاختصار واختزان خاصيّة تركيبها.

والواقع أنّ أيّ تصرّف في اللسنيّات اشتقاقيّا وتركيبيّا نحويّا لا يتمّ بغضّ النظر عن الخصائص الدلالية التي تميّز العبارة كما أشرنا سابقا في هذا البحث وأنّ الاستعمال هو الذي يحدّد المعنى ولذلك يكون السياقُ الحكمَ الفصلَ بين ما تدلّ عليه اللسنيّة اصطلاحا وما يخرجها إلى الحقيقة بما تفيده في بعض المقامات :

(1420) ألقى عَصَاهُ، لسنيّة اصطلح العرب على استعمالها في من أقام بالمكان واطمأنّ أو في من اجتمع إليه أمره أو كان مسافرا فبلغ موضعه وأقام لأنّه إذا بلغ ذلك ألقى عصاه فخيّم وترك السفر (لسان ج 4، ص 801 - 802)، قال زهير : وضعنا عصيّ الحاضر المتخيّم (كنايات ص 181) في حين أنّ نفس العبارة تواردت في القرآن الكريم 15 مرّة (معجم عبد الباقي، ص 651 - 652) بمعنى إلقاء العصا الذي يخرجها عن الاصطلاحيّة إلى الحقيقة كما في قوله تعالى : فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (الأعراف: 7/ 107، الشعراء : 26/ 32) وكذلك : فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِي تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (الشعراء : 26/ 45)....

بيد أنّ هذا المثال الذي قدّمنا لا يمثل في الحقيقة نموذج الاستعمال أو

القاعدة العامّة في استغلال ما باللسنيات من شفافيّة (Transparence) معنوية لأنّهم كثيرا ما كانوا يقتصرون في إبلاغهم وتواصلهم فيما بينهم على التعبير بالعبارة عن المعنى الاصطلاحي المقصود منها في حين أنّ تواتر نسبة من لسنيّات العصر الجاهلي وتأثرها بالواقع الجديد في هذه الفترة جعلاها تتّجه نحو ضرب من التطوّر إمّا بتعدّد دلالتها أو التجرّد التدريجيّ من معانيها القديمة :

(1100) أصْبِحْ يا رجل : انتبه من غفلتك، وأصل المعنى من قولهم : لقيته غداة الصباح أي يوم الغارة وأكثر ما كان يُغار عليهم في الصباح، قال الله تعالى، فالمُغيرات صبْحًا (العاديات : 100/ 3)، في حين أنّ معنى الإصباح تطوّر باتّجاهه نحو الدلالة على الهلاك، وقد توارد في القرآن 8 مرّات في مثل قوله تعالى : إنّهُ مُصيبُهَا مَا أصَابَهُمْ إنّ مَوْعدَهُمُ الصُّبْحُ أليْسَ الصُّبْحُ بقَريب (هود : 11/ 81) + فأخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبحِينَ (الحجر : 15/ 83 وكذلك : م. عبد الباقي ص (309). . .

ولئن كانت دلالة بعض اللسنيّات في صدر الإسلام قد تطوّرت بالاستعمال وتأثرت بالمفاهيم الجديدة فإنّ تواتر نسبة أخرى من العبارات جعلها تتّجه نحو ضرب من التولّد والتطوّر بتفرّعها إلى أكثر من عبارة :

(805) يَزْجُرُ الطَّيْرَ أي يعافها فيتفاءل أو يتشاءم. وزجر الطير نوع من التكهّن أصله أن يرمي الرجل الطائر بحصاة أو يصيح به فإن ولاّه في طيرانه ميامنَه وسنح تفاءل به وإن ولاّه مياسره وبرح تشاءم وتطيّر منه، ومن ذلك قالوا للكاهن زاجرا لأنّه إذا رأى ما يظنّ أنّه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضيّ قدُما في تلك الحاجة؛ واللسنيّة تواردت في القرآن الكريم 8 مرّات استعمل فيها المكوّن الأوّل زجر وما اشتقّ منه في 3 مواضع : فالزّاجرات زَجْرًا (الصّافّات : 37/ 2) + قَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجرَ (القمر : 54/ 9) + مَافيه مُزْدَجَرٌ (القمر : 54/ 4)؛ بينما استعمل المكوّن الثاني الطير وما اشتقّ منه في 5 مناسبات : إنّا تَطَيَّرْنَا بكُمْ (يس : 36/ 18) + اطَّيَّرْنَا بكَ (النمل : 27/ 47) + يَطَّيَّرُوا بمُوسَى (الأعراف : 7/ 131) + طَائرُكُمْ عنْدَ اللّه (النمل : 27/ 47) + طَائرُكُمْ مَعَكُمْ (يس : 36/ 19)، وكأنّما اللسنيّة كانت في حالة تفرّع إلى عبارتين جديدتين بل إنّ المعنى الاصطلاحيّ ذاته كان في حالة تحوّل لأنّ استعمال الطّائر وهو مشتقّ من المكوّن الثاني توارد في القرآن في موطن آخر

بمعنى إسلاميّ جديد : وكُلَّ انسَانٍ ألزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ (الإسراء : 13/17).

ومجمل القول إنّ حركيّة اللّغة كانت متميّزة في القرن السابع الميلادي الذي شهد تعديلا لنسق استعمال بعض اللسنيّات وتطوّر دلالاتها فقد أدّى تأثير العوامل الدينيّة في الحياة الاجتماعيّة إلى تقلّص نسبيّ في تواتر استعمال بعض العبارات : (791) راعنا و(803) بالرفاء والبنين و(1355) أنت عليّ كظهر أمّي . . . وظهور طائفة أخرى قامت على نقيض الأولى التي بدأت تخرج من الاستعمال في حين أنّ لسنيّات كثيرة حافظت في نفس تلك الفترة على تواترها بل إنّ نسق الاستعمال كان في تصاعد لأنّ نسبة هامّة من المعاني الإسلاميّة شهدت النور وتواردت في شكل عبارات ساهمت في نشأتها أسباب دينيّة مختلفة إضافة إلى ما أثر عن الرسول أو الصحابة أو كان مرتبطا بأحداث وقعت في القرن السابع وبعده : (369) مات حتف أنفه، (1381) ركب أعجاز الإبل، (2208) حمي الوطيس . . .

3. الخاتمة :

يمكن القول في النهاية إنّ الدلالة المعجميّة جعلتنا نراجع مفهوم العنصر المعجميّ على أساس التركّب إذ أنّ دلالة اللسنيّة من الدلالة المعجميّة واللسنيّات من العناصر المعجميّة كما بيّنّا في البحث، إنّ هذه الدلالة تتحدّد في جوانب منها بالاستعمال وتتأثر به وقد رأينا من خلال حركيّة اللغة في القرن السابع كيف أنّ لهذا الاستعمال علاقة بالنظام التعبيريّ للغة إذ يدفع بالدلالة نحو التطوّر فتمرّ اللسنيّة عند استعمالها بثلاث مراحل : النشأة والتولّد فالترسّخ في المعجم ثمّ التحوّل الذي لا تبلغ أقصى درجاته سوى نسبة قليلة من اللسنيّات يتغيّر شكلها (2108 نكص على عقبيه، 203 ينفخ في البوق) أو تتفرّع عنها أكثر من لسنيّة (895 يزجر الطير) أو تتولّد عنها دلالات جديدة (1100 أصبح يا رجل، 895 يزجر الطير) تقتضي منّا الآن مراجعة نظام الإحداث في اللغة باختبار عيّنات أكبر حتّى نلمّ بجميع الجوانب.

عبد الرزاق بن عمر
المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة
تونس

اللسنيّات الواردة في البحث :

* أهمّ الرموز المستعملة في هذا القسم من البحث :

(س) : أساس البلاغة للزمخشري / (ل) : لسان العرب لابن منظور/ (ج): جزء/ (ص) : صفحة/ (مث) : مجمع الأمثال للميداني :

30 - ماله حانّة ولا آنّة : ماله شيء / أساس البلاغة (س) ص 23، لسان العرب (ل) ج 1 ص 118-742.

102 - ما يعرف هرًا من برّ : لا يعرف شيئا أو لا يميّز بين من يكرهه ومن يبرّه/ س ص 30-600، ل ج 1 ص 191 - ج 6 ص 705.

111 - بارك الله فيه وله وعليه: أثابه وجعله مباركا/ س ص 37، ل ج 1 ص200.

122 - جاء بالترّهات البسابس : كذب / س ص 39 ،ل ج 1 ص 213، مجمع الأمثال (مث) ج 1 ص 222.

132 - ما يبضّ حجره : بخيل/ س ص 41، ل ج 1 ص 222،

203 - ينفخ في البوق : يكذب وينطق بما لا طائلة تحته / س ص 54، ل ج 1 ص 289

210 - بلغت روحه التراقي : شارف على الموت / س ص 62.

301 - جرّوا أذيالهم : تكبّروا واختالوا/ س ص 88-211، ل ج 2 ص1087.

320 - جعد البنان : بخيل / س ص 95، ل ج 1 ص 405.

331 - جامد الكفّ : بخيل / س ص 98.

336 - جمّمت الجارية ولمّت : اكتملت/ س ص 100، ل ج 1 ص 505.

341 - في جناح طائر : قلق او دهش / س ص 102، ل ج 1ص512.

348 - أجاع قدره : بخل / س ص 105، ل ج 1ص 534.

360 - مات حتف أنفه : فجأة أو عن مرض بلا قتل أو ضرب / س ص 112، ل ج 1 ص 563.

385 - في مثل حدقة البعير : في خصب وماء كثير / س ص 117، ل ج 1 ص 588.

406 - حُشاشة نازع : الوقت القليل / س ص 127.

412 - هو منّي حضر الفرس : قريب / س ص 130، ل ج 1 ص 660.

416 - حاطب ليل : يخلّط في كلامه وأمره أو يجني على نفسه/ س ص131، ل ج 1 ص 662.
417 - حطّ رحله : أقام/س ص 131 - 225، ل ج 1 ص 663 - ج 2 ص1141.
423 - جاء بالحظر الرّطب : كذب أو كان تمّاما/س ص 132، ل ج 1 ص666.
428 - رجع على حافرته : شاخ وهرم أو عاد إلى طبيعته الأولى /س ص 133، ل ج 1 ص 670.
450 - هم كالحلقة المفرغة : مجتمعون مؤتلفون/ س ص 139 - 471، ل ج 1 ص 700 ج 4 ص 1084.
457 - الحمد لله : عبارة في افتتاح الخطاب أو الدعاء بالثناء على الله وشكره/ س ص 140، ل ج 1 ص 713.
458 - أشقى من أحمر ثمود : كثير الشقاء في ضلال كبير/س ص 141، ل ج 1ص 717.
480 - بحوض الثعلب : بعيد / س ص 147، مث ج 2 ص 210.
481 - سقاك الله بحوض الرسول أو من حوضه : دعاء بالنجاة في الآخرة والفلاح/ س ص 147، ل ج 1 ص 756.
492 - حيّة ذكر : شهم أو شجاع شديد/س ص 150، ل ج 1 ص 777.
586 - خيّط رأسُه : شاب/ س ص 179، ل ج 2 ص 929.
590 - قطع دابره: استأصله وأهلكه /س ص 182-444، ل ج 2 ص 940.
600 - ولّى دبره أو مدبرا : فرّ أو انهزم/س ص 182.
641 - دُمّ بالشحم : كان سمينا / س ص 196، ل ج 2 ص 1015.
689 - ركب ذنب البعير : رضي بحظّ مبخوس ناقص / س ص 208، ل ج 2 ص 1079.
737 - رجع العلف في الدابّة ونجع : سمنت وتبيّن أثره فيها / س ص 222، ل ج 2 ص 1130.
745 - مرحبا بك : تحيّة تقال للوارد عليهم بمعنى أهلا وسهلا/ س ص 224، ل ج 2 ص 1130.
764 - رُدّ إلى أرذل العمر : هرم وخرف/ س ص 229، ل ج 2 ص 1158.

774 - لرشدة : صحيح النسب/ س ص 232، ل ج 2 ص 1169.
791 - راعنا : من أقوال اليهود في اللعن والسب/ س ص 238، ل ج 2 ص1188.
792 - رعى النجوم : أرق وسهر / ص 238 - 244، ل ج 2 ص 1188 - 1204 - ج 4 ص 360.
794 - رغم أنفُه : ذلّ وخضع ولحقه الهوان / س ص 239، ل ج 2 ص1192.
796 - كراغية البكر : مشؤوم/ س ص 240.
800 - هُريق رفده : قُتل / س ص 241.
802 - رفل في ثيابه : تكبّر وتبختر / س ص 243، ل ج 2 ص 1202.
803 - بالرّفاء والبنين : بالالتئام والاتّفاق وحسن الاجتماع / س ص 244، ل ج 2 ص 1194-1203.
826 - أوى إلى ركن شديد: كان عزيزا منيعا في قومه/ س ص 250، ل ج 2 ص 1219.
827 - أخذت إبلي رماحها وكذلك سلاحها : سمنت وحسنت / س ص251 - 304، ل ج 2 ص 1222.
840 - حبلك على غاربك: أنت طالق/ س ص 254-447، ل ج 4 ص968.
893 - وقع في أيدي الزبانية : في العذاب الشديد أو في مأزق لا يستطيع الخروج منه / س ص 266.
895 - يزجر الطير : يعافها فيتفاءل أو يتشاءم/ س ص 268 - 330، ل ج 3 ص 12 - 361.
945 - أزاغ الله قلبه : أضلّه/ س ص 280، ل ج 3 ص 71.
947 - انقطع بهم السبب : تجافوا وتعادوا/ س ص 282، ل ج 3 ص 77.
952 - سبّع الله له وعشرّ : ضعّف له الأجر وأكثره / س ص 283 - 421، ل ج 3ص 88- ج 4 ص 784.
977 - انتفخ سحره : ملّ أو جبن أو تعدّى طوره / س ص 287، ل ج 3 ص 106.
987 - أجور من قاضي سدوم. كثير الجور / س ص 291، ل ج 3 ص 123.

1005 – شدّ على ساعده : أعانه / س ص 200، ل ج 3 ص 147.
1015 – سقط في يده : ندم أو زلّ أو أخطأ / س ص 300-312، ل ج 3 ص 164- ج 6 ص 1007.
1029 – انسلخ جلده : قلّ حياؤه أو فزع/ س ص 304.
1075 – يقتات السّوف : يعيش بالأماني أو هو صابر / س ص 314، ل ج 3 ص214.
1085 – شبعى الوشاح : سمينة ممتلئة / س ص 320، ل ج 3ص 264.
1131 – بشقّ الأنفس : بمشقة وصعوبة/س ص 334، ل ج 3 ص 342.
1160 – أصبحْ يا رجل : انتبه من غفلتك / س ص 340، ل ج 3ص 401، مث ج 1 ص 506.
1276 – ضاق صدره : قلق أو تحرّج/ س ص 381، ل ج 3 ص 562.
1281 – طبع على قلبه : أضلّه وختم عليه / س ص 383، ل ج ص 567.
1292 – طحنتهم المنون : هلكوا / س ص 385.
1355 – أنت عليّ كظهر أمّي : أنت طالق / س ص 404، ل ج 4 ص 659.
1367 – عابر سبيل: مسافر أو مارّ بالطريق/ س ص 406، ل ج 4 ص668.
1381 – ركب أعجاز الإبل : ذلّ أو كان تابعا لغيره أو لقي المشاقّ/ س ص409، ل ج 4 ص 692.
1426 – ألقى عصاه : أقام بالمكان واطمأنّ واجتمع إليه أمره/س ص 423، ل ج 4 ص801-802.
1486 – جاء بالعناق أو بأذني عناق : كذب أو خاب / س ص 437، ل ج 4 ص 905.
1520 – أرض لا يطير غرابها : كثيرة الثمار مخصبة/ س ص 447، ل ج 4 ص 969.
2108 – نكص على عقبيه : أحجم ورجع عمّا كان عليه من الخير / س ص 654، ل ج 6 ص 718.
2208 – حمي الوطيس : اشتدّت الحرب أو الأمر / س ص 681، ل ج 6 ص 947.
2213 – ثوفّي : مات/س ص 684، ل ج 6 ص 961.

المصادر والمراجع العربيّة

- الأبي الأزهري (صالح عبد السميع)، الثمر الداني في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مطبعة المنار، تونس، د.ت.
- البكّوش (الطيّب) والماجري (صالح)، في الكلمة. في النحو العربيّ وفي اللسانيّات الحديثة، سلسلة معالم الحداثة، دار الجنوب للنشر، تونس، 1993.
- ابن جنّي (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحقيق محمّد علي النجّار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- ابن عمر (عبد الرزّاق)، اللسنيّات (التعابير الخاصّة) في العربيّة القديمة، نسخة مرقونة، كلّية الآداب، السنة الجامعيّة 1999 - 2000، منّوبة، تونس.
- ابن منظور (محمّد بن مكرم بن علي)، لسان العرب، 6 مجلّدات، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، 1988.
- الجرجاني (القاضي أبو العبّاس أحمد)، المنتخب من كنايات الأدباء وإرشاد البلغاء، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1984.
- الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، شرح وتحقيق عبد المنعم خفّاجي وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، 1991.
- الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1988.
- الحمزاوي (محمّد رشاد)، المعجم العربي. إشكالات ومقاربات، بحوث ودراسات، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991.
- الزمخشري (جار اللّه أبو القاسم محمّد بن عمر)، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، 1979.
- سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان)، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة، 1977.
- السيوطي (عبد الرحمان جلال الدين)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- الشريف (محمّد صلاح الدين)، المعجم بين النظريّة اللغويّة والتطبيق الصناعي، مجلّة المعجميّة، العدد 2، تونس، 1986، ص15-30.

- عبد الباقي (محمّد فؤاد)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- عابدين (عبد المجيد)، الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1956.
- القرآن الكريم، طبعة مكتبة المنار، التيجاني المحمّدي، تونس، د.ت.
- القاسمي (علي)، علم اللغة وصناعة المعجم، جامعة الملك سعود، الرياض، 1991.
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمّد)، مجمع الأمثال، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1988.

المراجع الأجنبيّة .

- Gréciano (G.), Signification et dénotation en allemand, La sémantique des expressions idiomatiques, Recherches linguistiques, IX, Univ. de Metz, 1983.
- Guiraud (P.), Les locutions françaises. Que Sais-je ?, n° 903, PUF, Paris, 1980.
- Le figement lexical, Actes du colloque de la 1ère R.L.M. (Rencontres Linguistiques Méditerranéennes), Tunis, les 17-18 - et 19 Septembre 1998.
- Méjri, S. Le figement lexical, Descriptions linguiqtiques et structuration sémantique, Publications de la Faculté des Lettres de Manouba, Tunis 1997.